



## تمهيد

لما كان ذكر الحوادث التي سنأتي على بيانها لا يتم ولا يتضح للقارئ بدون ان يتمهد لُد العلم بالبلاد التي حدثت فيها تلك الحوادث رأينا ان ناتي على خلاصة ما يهيم القارئ من وصف بلاد الشام الجغرافي وايضاح مواقع مدنها وقراها التي حصلت فيها الحروب والاهوال و ذكر طرف من احوال الاهالي وعقائدهم وعوائدهم وغير ذلك مما كان سبباً للحرب فنقول :

كانت سورية او بلاد الشام من عهد بعيد مقراً للحضارة ومركزاً للجز و صفاء العيش وقامت فيها الدول الكثيرة ونمت طوائفها نمواً واسعاً وعظمت متاجرها الى حد لم يرو عن غيرها من البلدان في التاريخ القديم وامتاز اهليها من عهد نشأتهم بجدّة الدهن وتوقده واتساع المدارك وسمو العزم وصحة البدن ونحو ذلك مما نشأ عما خصت به هذه البلاد الطيبة من جمال الموقع وما فيها من عذب الماء ورقيق الهواء وكثرة المناظر البهيّة وتنوع الاشكال الزاهرة الشبيهة

### ﴿ موقع الشام وحدودها ﴾

وموقع الشام الجغرافي في الطرف الغربي من قارة اسيّا على شطوط البحر المتوسط وهي بين ٣٠ ٣٤ و ٣٠ ٣٧ من الطول الشرقي و ٣١ و ٣٠ ٤٣ من العرض الشمالي يحدها من الشمال بلاد الاناضول ومن الشرق البادية وبلاد الجزيرة ومن الجنوب القطر المصري وبلاد العرب ومن الغرب البحر المتوسط . وموقعها من اجمل مواقع الارض واكثرها اهمية فهي الصلة الطبيعية بين الغرب والشرق

### ﴿ اقسام الشام واسماؤها ﴾

وقد قسم القدماء هذه البلاد الى قسمين الاول سورية وهو القسم الشمالي آخره عند بدء بلاد الاناضول واوله من ناحية الجنوب جبل الشيخ . واما القسم الثاني فهو بلاد فلسطين وموقعه ما بين جبل الشيخ في الشمال وحدود البلاد المصرية في الجنوب وهو القسم الذي استوطنه الاسرائيليون وماكوا معظمه في ايام الكايم موسى وخليفته يشوع بن نون . وظلت هذه البلاد تعرف بهذين الاسمين يعني سورية وفلسطين حتى ماكها الرومان واطلقوا على القسمين اسم سورية ثم فتحها العرب في بدء نهضتهم واطلقوا عليها اسم الشام واختلفوا في سبب تسميتها بهذا الاسم ولم تزل البلاد تعرف بالاسم الروماني عند الافرنج والاسم العربي عند العرب الى هذا اليوم

### ﴿ المساحة وعدد السكان ﴾

ولست بلاد الشام على شهرتها من البلدان الواسعة فهي لا تزيد عن خمسين الف ميل مربع في مساحتها ولكن سكانها اليوم اقل مما كانوا في ايام عزها السابق يوم كانت فيها ممالك آرام وفينيقية واسرائيل واشور وغيرها زاهية زاهرة . فقد صار عدد السكان اليوم في كل بلاد الشام مليونين من النفوس بعد ان كان لا يقل عن عشرة اضعاف هذا القدر القليل وذلك لاسباب حجة اهمها كثرة الحروب وتغلب الدول الفاتحة على البلاد وظلم الفاتحين وعبثهم بالاموال والارواح نأ سنعود الى ذكره .

### ﴿ طوائف الشام ﴾

ويمتاز اهل الشام عن بقية اهل الارض بكثرة اديانهم فليس في المسكونة بلاد صغيرة مثل هذه تضم العدد العديد الذي سنذكره من طوائفها وفيها اديان خاصة بها لا وجود لها في سواها من البلدان واعل ذلك من اكبر اسباب انحطاطها وشبوب الحروب الاهلية فيها وسببها الاول كثرة الامم التي تغلبت عليها في الازمان السالفة . واما الطوائف الحالية فاشهرها المسلمون وهم انواع ثلاثة اشهرهم السنة ويليهم الشيعة ويعرفون في بلاد الشام باسم المتاولة . ثم النصرى وهم فرق عديدة منها الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك واللاتين والسريان والموارنة والبروتستانت وليس في الارض كلها اناس من طائفة الروم الكاثوليك والموارنة الا في بلاد الشام والبلدان التي يتردد عليها اهل

الشام مثل مصر واميركا وغيرها . ومن هذه الطوائف اليهود وهم اليوم طائفة قوية في متصرفية القدس الشريف ومنهم عائلات كثيرة في كل انحاء البلاد . ومنها طائفة السمرة وهم اقل طوائف الشام عدداً يقطنون انحاء نابلس في متصرفية القدس واصولهم من اهل اشور ارسلهم احد ملوكها ليعمروا البلاد بدل اليهود الذين سبواهم ويدينون اليوم بدين اسرائيل ولكنهم لا يعتبرون غير كتب موسى الخمسة ولم تاريخ غريب . ومنها الدروز وهي طائفة باسلة يسكن افرادها جبال حوران على حدود البلاد الشرقية وجبل لبنان وبعض المدن ولا يزيد عدد افراد هذه الطائفة عن تسعين الفاً من النفوس وديانتهم سرية . ومن الطوائف الشامية طائفة النصيرية والاسماعيلية واهلها من اصحاب الاديان السرية ايضاً ومعظمهم يقطنون الجبال التي تلي طرابلس واللاذقية . ومن غريب امر هذه الطوائف ان بينها اربعة هي طوائف الدروز والاسماعيلية والسمرة والنصيرية لا وجود لها في غير بلاد الشام وهذا من الغرابة بمكان

### ﴿ المسلمون ﴾

واما تعداد النفوس فلا يُعرف بالتدقيق ولكن الاحصاء الاخير الذي عوّلت عليه الدولة العلية يظهر منه ان عدد المسلمين في بلاد الشام يزيد عن مليون منهم حوالي مائة الف من العربان الذين لا يقيمون في ارض معلومة ولم يزالوا على حال اجدادهم من البداوة وحب الغزو والتنقل وهم كثار في كل ناحية وبنوع اخص في اطراف

البلاد الشرقية ونواحي الحولة على حدود فلسطين من ناحية الشمال  
 ولكن عددهم قليل في بلاد النصيرية والارياف الشمالية ولا وجود لهم  
 في جبل حوران موطن الدروز الذي مر ذكره ولا في كسروان وهو  
 موطن الطائفة المارونية . و يبلغ عدد المسلمين الذين على الطريقة  
 الشيعية او المتأولة حوالي ٧٠ ألفاً من النفوس معظمهم في بلاد بعلبك  
 في اطراف البلاد من ناحية الشرق وراء طرف لبنان الجنوبي وفي  
 بلاد الشقيف وبلاد بشارة والنحاء مدينة صور وكل هذه في جنوبي  
 ولاية بيروت وشمال متصرفية القدس وعددهم قليل جداً في المدن  
 المعروفة

### \*) المسيحيون (\*)

واما المسيحيون فيبلغ عددهم حوالي تسعماية الف نفس او يزيد  
 منهم ٢٧٠٠٠٠ من الموارنة و ٢٥٠٠٠٠ من الروم الارثوذكس  
 و ٥٠٠٠٠ من الروم الكاثوليك و ٣٥٠٠٠٠ من بقية الطوائف التي  
 عددناها . واهم الاماكن التي يسكنها المسيحيون جبل لبنان وفي بعض  
 مدنه مثل دير القمر وزحلة وغيرها لا يسكن الدروز . وكسروان  
 مقاطعة خاصة بالطائفة المارونية لا يسكنها سواهم من العالمين . ويكثر  
 النصارى في مدينة بيروت وهم الفريق الاكبر من اهلها وعددهم ليس  
 بقليل في كل المدن البحرية مثل طرابلس وصيدا وصور ويافا والداخلية  
 مثل دمشق وحلب وانطاكية وغيرها وقل ان يخلو مكان في سورية  
 من بعض طوائف المسيحيين

### ﴿ الاسرائيليون ﴾

واما الطوائف الاخرى فاشهرها الطائفة الاسرائيلية واهلها يقر بون اليوم من مائة الف في عددهم اكثرهم في الاراضي المقدسة مثل القدس الشريف ونواحيها وهم يزيدون عدداً يوماً بعد يوم كثرة الذين يهاجرون الى هذه البلاد منهم ولاعتقادهم ان هذه البلاد ستعود اليهم بعد حين ويساعدون اكابرهم على شراء الاراضي وتعمير القرى والمدن وقد صارت القدس ونواحي جبل الكرمل والناصره جالها من املاكهم وصاروا هم اصحاب النفوذ فيها واكثرهم غرباء نزحوا الى بلاد الشام في هذه السنوات الاخيرة وينتظر ان يزيد عددهم زيادة كبرى في الاعوام القادمة . وطائفة السمرة التي اتينا على ذكرها وهي من اغرب طوائف الارض تعد في جملة اليهود ولا يزيد عدد تنوسها عن ستين ولعلها اصغر طوائف الارض

### ﴿ الدرّوز ﴾

واما طائفة الدرّوز فتمتاز بميلها الى الحرب ولافرادها خصال كثيرة تحمد ومعظم الدرّوز كما قدمنا في حوران ولبنان ووادي التيم واقليم البلان ويندر ان تخلو منهم مدينة او ولاية في الشام واما في غير الشام فلا اثر لهم الا ان يكون من بعض افرادهم الذين يرحلون في طلب الرزق وعدد الدرّوز بالتقريب نحو ٩٠ الف نفس . وسنعود الى ذكرهم ونأتي على طرفٍ من تاريخهم في ما يجي .

### ﴿ الطوائف الاخرى ﴾

واما النصرية والاسماعيلية فيمتازون بديانتهم الباطنية وعوائدهم المستهجنة وهم يقربون من ثلثين الفاً عدداً معظمهم في الجبال الواقعة بين حماه واللاذقية . ومن غريب الامر ان في عكا طائفة صغيرة اسمها طائفة البايين ليس لها وجود في غير مدينة عكا من بلاد الشام . واما الطوائف الاخرى فقد تقدم الكلام عنها

### ﴿ المناظر الطبيعية ﴾

وفي بلاد الشام جبال كثيرة اشهرها جبل لبنان وهو سلسلة تمتد من طرابلس الى نهر الليطاني ويعد من الجبال المشهورة بجمال المناظر وطيب الهواء . ويليه الى الشمال سلسلة جبال اللكام والى الجنوب جبل الشيخ وما يليه من سلسلة جبل لبنان الشرقي . وفي البلاد سهول كثيرة شهيرة في خصبها منها سهول حمص والشام ووادي الفرات ومرج ابن عامر والبقاع وسهول عكا وهوران . وانهارها كثيرة واكثرها كلها صغيرة لا تصلح لسير السفن ولا يعول عليها في ري الاراضي كما يعول على النيل في مصر ومن اشهر هذه الانهر نهر حلب وهو فرع من الفرات يسقي مدينة حلب ونهر العاصي وهو يسقي مدينتي حمص وحماه ونهر ابراهيم ونهر الكلب الذي يسقي بيروت ونهر الدامور ونهر الاولى يسقي مدينة صيدا ونهر الليطاني وبردى وهو يسقي مدينة دمشق ونهر الاردن وهو شهير له ذكر في الكتب المقدسة

وفيهما من البحيرات ما يستحق الذكر منها بحيرة انطاكية على مقربة من مدينة انطاكية في شمال البلاد وبحيرات اخرى صغيرة على مقربة من حمص وحماه وبحيرة الحولة وبحيرة طبرية وبحيرة لوط وهي في شمالي الاراضي المقدسة

### ✽ الحاصلات والحيوانات والمعادن ✽

وتربة سورية جيدة خصبة وارضها حمراء اللون وبيضاء وسوداء ويغلب فيها اللون الاول . واشتهر عن بلاد الشام كثرة الفاكهة على اشكالها والحاصلات من الحبوب على انواعها وقل ان توجد بلاد في الارض ينمو فيها من اشكال النبات ما ينمو في هذه البلاد وانما كبتها شهرة تضرب بها الامثال . وحيواناتها الاليفة والبرية كثيرة وهي مثل التي توجد في القطر المصري تقريبا . وفيها من المعادن الفضة والرصاص والذهب والفحم والحديد والنحاس والحجر واغلب هذه الكنوز لا تستخرج الآن من قلب الارض لان التصريح بذلك من الامور الصعبة وروح الاشتراك بين الافراد على القيام بالاعمال التجارية الكبيرة غير معروف الى الآن في بلاد الشرق

### ✽ المصنوعات ✽

ومصنوعات الشام ليست بقليلة ولكنها مثل سائر صنائع المشرق تصنع باليد ولم تدخل المعامل الكبرى والآلات البخارية فيها الى الآن واشهرها تربية دود الحرير وهم يربونه في لبنان وغيره بالاعتناء الزائد ويعتنون به الى معامل فرانسوا وغيرها لينسج حريراً ويعود اليهم

ويتوقف على صناعة الحرير وتربية دوده معاش عائلات كثيرة في بلاد الشام وهو اهم فرع من فروع تجارتها الآن . وتصنع فيها الاقشة القطنية من نوع « الديما » الشهيرة المعروفة بين الافرنج باسم الشام وتسمى « غزلية » في هذه البلاد وقد تفانت اهل بعض المدن مثل الزوق ودمشق وغيرها في عمل المنسوجات الحريرية المقصبة وعليها الرسوم المختلفة نسجاً لا طبعاً واهدى بعضهم الى قداسة البابا وجلالة ملكة الانكليز وغيرها من الامراء والملوك هدايا من هذا النوع وعليها رسومهم فاعجبوا بانقانها وشهدوا بجمالها . واشتهر اهل دمشق في ترصيع الادوات الخشبية بالعاج وعرق اللؤلؤ وفي تركيب الجواهر على الذهب ولهم في ذلك ذوق تضرب به الامثال وقد كان في هذه المدينة القديمة صناعات اخرى مثل عمل القيشاني والسيوف الدمشقية ضاعت ولم يبق لها وجود الا في الآثار القديمة

### ﴿ المعارف ﴾

ومعارف الشام تذكر في بعض الانحاء وقليلة لا تذكر في انحاء اخرى فحيث يكثر الاجانب والمرسلون تكثر المدارس والكتب وحيث يقل عددهم نقل المعارف وليس للحكومة من المدارس الا الشيء القليل وهي قاصرة على اولاد المسلمين . وقد نهضت مدينة بيروت وقرى لبنان ومدينة طرابلس ودمشق نهضة تذكر وتشكر في الاعوام الاخيرة ودخل الشبان والثابات والصبيان والبنات مدارس الافرنج على اشكالها فنبغ منهم الافراد وانتشر المتعلمون في كل اقضاء البلاد ونح

فريق كبير منهم الى القطر المصري واميركا واوروبا. والسوريون اليوم اصحاب القلم في كل البلدان العربية فهم يحررون كل جريدة عربية تذكر في القطر المصري وغيره من الديار العربية وليس في بلاد الشام واحد من المؤلفين او اصحاب الجرائد غير سوري الاصل وهذا يدل على ذكاء السوريين واقدامهم وميلهم الى الارتقاء وهمتهم فلو اطلق لهم العنان واعطيت الحرية لاقلامهم ملأوا البلاد بالمؤلفات النفيسة والكتابات المفيدة على اشكالها

### ✽ المدارس ✽

واما المدارس في بلاد الشام فكلها للاجانب ما خلا الشيء القليل منها واشهرها المدرسة الكلية للرسامين الاميركيين في بيروت ومدرسة القديس يوسف للرسامين الكاثوليك اليسوعيين والمدرسة البطريركية لطائفة الروم الكاثوليك ومدرسة الحكمة لنيافة المطران يوسف المديس رئيس الطائفة المارونية في بيروت والمدرسة الرشدية للحكومة المحلية . ومدارس البنات كثيرة اشهرها مدرسة الاميركان ومدرسة الانكليز ومدرسة الراهبات العازريات ومدرسة الراهبات البروسيات الانجيلية وغيرها وكل هذه المدارس في بيروت وهي مركز العلوم والمعارف في بلاد الشام . وفي البلاد مدارس اخرى اشهرها في جبل لبنان كمدرسة عين طوره ومدرسة قرنة شهوان ومدرسة عين ورفة ومدارس برمانا والشوير وعين زحلنا وغيرها والثلاث الاخيرة للانكليز . وفي القدس الشريف مدارس كثيرة للانكليز والالمان وقل ان تخلو

اليوم بلدة معروفة من مدرسة الانكليز او للفرنساويين وفضل المرسلين من طائفتي الكاثوليك والبروتستانت كثير على هذه البلاد

### ﴿ المهاجرة ﴾

واكثر سهول سوريا وجبالها أهلة بالسكان ولكن قلة وسائط النقل وحالة البلاد الادارية تمتع من زيادة السكان وقد نقل عددهم بما ياتيه الحكام من سوء التدبير والظلم بما يضطر الناس الى الرحيل والمهاجرة ويقدر ان عدد الذين هاجروا الى اميركا وسواها من اهل لبنان في مدة ١٥ سنة من هذا التاريخ لا يقل عن مائتي الف نسمة وهو اكبر الادلة على حاجة البلاد الى الاصلاح

### ﴿ ولايات الشام واقسامها ﴾

واما اقسام الشام الادارية على حسب نظام حكومتها الحالي فهو ان البلاد مقسومة الى خمس ولايات اولها ولاية حلب وهي القسم الشمالي من البلاد والثانية ولاية بيروت وهي السواحل البحرية المعروفة وما يليها في داخلية البلاد من اللاذقية شمالاً الى حيفا جنوباً . والثالثة ولاية الشام او سورية وقاعدتها مدينة دمشق وهي تشمل داخلية البلاد وشرقيها . والرابعة متصرفية القدس وهي تشمل جميع البلدان الواقعة بين حدود ولاية بيروت وحدود القطر المصري . والخامسة متصرفية لبنان وامرها معروف ولهذا المتصرفية نظام خاص واستقلال اداري ولها وال تعينه الدول مع الباب العالي كل عشر سنين وموقعها في اواسط بلاد الشام بين ولايتي سورية وبيروت . وجميع الولايات

الشامية تابعة في امورها العسكرية الى مشير العرضي المهابوني الخامس من فرق الجيش العثماني ومركزه في دمشق وتقسم الولاية الى متصرفيات والمتصرفية الى قائمقاميات والقائمقامية الى مديريات في كل بلاد الدولة العثمانية . وفي كل قرية من قرى لبنان شيخ يسمونه شيخ الصلح واكثر المشايخ يرثون الوظيفة وراثته ولهم الاولوية في مصالح الحكومة وفي كل مديرية او ما فوقها مجلس للادارة ومجلس للجنايات يرأس الاول الحاكم الاداري والثاني القاضي والاعضاء ينتخبون انتخاباً من بين الاهالي وفي كل ولاية مجلس للاستئناف في مسائل الجنايات والحقوق ولكن استئناف المسائل التجارية في كل بلاد الشام يرجع الى بيروت ما خلا ولاية حلب

### ﴿ المدن البحرية ﴾

واما المدن المعروفة في بلاد الشام فكثيرة بعضها في داخلية البلاد والبعض الآخر على شاطئ البحر المتوسط مثل مرسين في الشمال وهي ميناء ولاية اطنه ولها موقع حسن وفيها سكة من الحديد تصل الى ادنه وهي اول سكة من هذا النوع ظهرت في بلاد الشام ولها مركز تجاري ولهذا تمر عليها بواخر الشركات التجارية وتقف فيها يوماً كاملاً واكثر اهلها يعرفون العربية والتركية لقربهم من الولايات التركية . وتليها الى ناحية الجنوب على شاطئ البحر اسكندرونة وهي مدينة صغيرة لها ميناء بديع ترسي فيه البواخر وهذه المدينة الصغيرة اهمية كبرى لانها ميناء حلب وما يليها تمر فيها البضائع الصادرة والواردة ولهجة اهلها

تقرب من طجة حلب في الكلام . وتليها اللاذقية الى جنوبها وهي مركز متصرفية باسمها وتعرف بكثرة التصيرية فيها وهم يقطنون الجبال التي تلي هذه المدينة كما مرّ ولها شهرة قديمة . وطرابلس وهي من اجمل المدن البحرية منظرًا ولها مقام كبير لانها الثانية في مدن السواحل السورية بعد بيروت ولها تجارة واسعة ولاهبا شهرة في الجدل والاقدام ومينائها جميل امين يضرب المثل في جمال مناظره والروائح الذكية التي نتضوع من حدائقه وهي متصرفية من ولاية بيروت . وتليها بيروت الى جهة الجنوب منها وهي اشهر مدائن الشام واهمها واعظمها لانها مركز تجارة البلاد برمتها ومركز العلوم والمعارف فيها وقد نمت في السنوات الاخيرة نموًا سريعًا فدخلت اليها معظم ادوات التمدن الحديث وانشأت المدارس العالية التي لا نظير لها في الشرق وتجددت فيها الشوارع والحدائق والبنيات الجميلة وكثر عدد سكانها حتى صار نيف ومائة وعشرون ألفًا . وفي بيروت من المطابع الكبرى عدد كبير فهي تطبع الكتب لكل بلاد الشام ولسائر المشرق . وجرائد الشام عن بكرة ابيها تطبع في هذه المدينة الزاهرة ما خلا ثلاثة هي طرابلس في المدينة التي تسمى باسمها والفرات في حلب وسورية في دمشق والجريدتين الاخيرتين من جرائد الولايات الرسمية . واكثر اهل بيروت من النصارى من طائفة الروم الارثوذكس وفيها عدد كبير من كل الطوائف الاخرى ويقرب المسلمون فيها من ثلاثة اثنان عدد اهلها وهي مركز الولاية التي تسمى باسمها وشهرتها تغني عن الاسهاب في مثل هذا الفصل الموجز . وتلي بيروت الى جهة الجنوب مدينة صيدا وكانت

في سابق الزمان عاصمة الفينيقيين ولها شهرة بعيدة وظلت على شهرتها الى اواسط هذا القرن حين كانت عاصمة البلاد السورية يتيم فيها الولاية وعمال الدولة العثمانية . وهي صغيرة الآن لا يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نفس معظمهم من المسلمين وهي شهيرة بآثارها وبساتينها وقدميتها . ومثلها مدينة صور وهي تليها الى ناحية الجنوب وفيها عدد كبير من المتاولة واحوالها متأخرة . وعكا وهي بلدة حصينة حدثت فيها المعارك الهائلة ولها شهرة تاريخية من قديم الزمان الى الآن وهي مركز متصرفية . وحيفا وهي مركز قائمقامية لها شهرة في هذه الايام بالمستعمرة الالمانية الكبيرة التي عمرت قراها وصيرتها من اهم الاشياء الشامية . ويافا وهي مشهورة برداءة مينائها وكثرة الامواج فيه ولها مركز خطير لانها ميناء القدس الشريف تمر فيها الابضعة وينزل اليها المسافرون الوفا ممن يعرج عليها في طريقه الى المدن الاخرى او يزور القدس عن طريقها . ولهذا المدينة شهرة كبرى بالفاكهة التي تزرع فيها وتباع في مدائن مصر والشام وهي اول اسكلة سورية تقف عليها البواخر الداخلة من القطر المصري وفيها سكة حديدية انشئت حديثاً تسير بها الى القدس الشريف . وآخر السواحل الشامية المعروفة غزة وهي على مقربة من الحدود المصرية وليس لها اهمية بين المدائن

### ﴿ مدن الداخلية ﴾

هذه اهم السواحل السورية . واما مدن الداخلية فكثيرة منها انطاكية وهي التي بناها ملوك الدولة السلوقية التي حكمت البلاد من

بعد الاسكندر ذي القرنين وظلت هي المدينة الاولى في البلاد وعاصمة الملك الى ايام الفتح الاسلامي وكانت من اعظم مدائن الشرق واهمها في العاوم والمتاجر والمقام السياسي فتوالى عليها النكبات ودمرتها الزلازل مراراً حتى انقضت وصارت الى حالها الحاضرة وليس لها اليوم ذكر بين المدائن الشهيرة . ومنها حلب وهي مدينة شهيرة كبيرة لها تجارة واسعة ولاهها خبرة في صناعة النسيج وهي مركز ولاية باسمها وبلغ عدد سكانها نيف ومائة الف نفس <sup>معظمهم يتكلمون العربية</sup> والتركية واكثرهم من المسلمين . وفي نواحي حلب سهول واسعة وبقاع خصبة يتطنها العرب الرحل وهي لو زرعت وانقنت لجاءت بالخصلات الكثيرة . ومن هذه المدائن حمص وحماه وهما مدينتان قديتان في السهول التي يمر بها نهر العاصي ولاهل المدينتين شهرة في نسج الاشياء القطنية . ومنها دمشق الفيحاء وهي اشهر من ان تذكر واكبر مدائن الشام واكثرها نزهة وخصرة وحسناً واقدمها عمراً واكثرها فخراً يزيد عدد سكانها اليوم عن مائة وخمسين الفاً سبعة اعشارهم من المسلمين . ولاهل هذه المدينة العظيمة شهرة بعيدة في الرقة والانس وفي الاقدام على الاعمال الكبيرة ولم علم خاص بصناعة الحرير والحلي وهم ميالون الى الحظ والطرب اكثر من كل قوم سواهم ولاعجب فدينتهم اشهر مدائن الارض بحمال بسايتها ومزارعها ومائها العذب وهوائها الطيب ومنظرها الغريب ورخص اسباب العيش وتوفر دواعي الراحة والرخاء وكثرة الناكهة وغير هذا مما يجعل هذه المدينة المقام الاول بين مدن الارض المعروفة بالبهاء والزهاء . ودمشق اقدم مدن

العالم الباقية الى اليوم وقد ثقلت عليها الاحوال اشكالا واولانا ولعلها لم تصل الى درجة من العز تضاهي درجتها ايام كانت مركز الخلافة الاسلامية في عهد الدولة العربية الاموية الباقية آثارها فيها الى هذا اليوم . وتمتاز دمشق الفيحاء على بقية المدائن الشامية بجمال اهلها وحسن مناظرهم كما انها تمتاز بجمال غوطتها التي تضرب بها الامثال وهي محيطة بها من كل جانب كأنما المدينة جزيرة يحيط بها بحر من الاشجار والبساتين والازهار والرياحين . وفيها مركز ولاية سورية ومركز العرضي الهمايوني الخامس الذي ترجع اليه الامور العسكرية من كل الولايات الشامية . ومنها يخرج الحج الشامي كل عام باحتفال عظيم ولها تجارة واسعة بالحبوب والغلالات والفاكهة وبالمصنوعات الحريرية والمصوغات والحلي والادوات المرصعة وغير هذا مما يخص بها دون سواها وتصل بينها وبين بيروت سكة بسيطة للمرات تجرها الخيل والقوم اليوم يعملون في مد الخط الحديدي بين المدينتين فاذا تم ذلك صارت دمشق الى درجة رفيعة في المتاجر وتحسنت شؤونها ووفرت ثروتها . وليس في دمشق الشام مطبعة ولا جريدة ما خلا واحدة للولاية مرّ ذكرها ومدارسها بسيطة فهي مثل بقية مدائن الشام تعول على بيروت في كل الامور العلمية والتجارية ولوشئنا التطويل في وصف هذه المدينة لضاق بنا المقام ولكن يكفي بعد الذي قلناه ان نوضح لغرض هذه الرسالة ان دمشق في اواسط البلاد التي حدثت فيها المذابح في سنة ستين ولهذا لجأ اليها الفارون من قرى حاصبيا وراشيا وغيرها وحصل فيها بعد ذلك مذبحه هائلة سنأتي على ذكرها في حينها

ومن مدائن الشام في داخلية البلاد القدس الشريف ولها شهرة  
تغني عن الاطناب فهي مهبط الوحي ومسكن الانبياء الصالحين ومدفن  
سيدنا المسيح ومن تقدمه من رجال الله الاخيار ومركز الحرم الشريف  
وقبر سيدنا ابراهيم وآثار هيكل سليمان وهي اشهر مدن الارض  
الدينية يعتبرها المسلمون والنصارى واليهود مدينة مقدسة ويحجون  
اليها من اقصى الانحاء . وقد كانت في سابق العهد عاصمة المملكة  
اليهودية كما لا يخفى ومرت عليها ايام رأت فيها من العز والرخاء والمجد  
والعظمة ما لم تره مدينة سواها في ايام الملك سليمان الحكيم  
وتوات فيها الحوادث الشهيرة الهامة من مثل قيام الانبياء  
وانتساب الحروب حتى كان ما كان من خرابها على يد الامبراطور  
تيطس الروماني بعد التاريخ المسيحي بسبعين سنة ومن ذلك الوقت  
انحطت هذه المدينة العظيمة وتشتت اهلها في كل اقطار المسكونة ولم  
نقم لها ولا لهم قائمة من ذلك الحين . على ان الاسرائيليين لم يزالوا  
يواملون ويعتقدون ان القدس او اورشليم ستعود اليهم وتصير مرة  
اخرى عاصمة مملكتهم وهم يحترمونها لانها مركز عزهم السابق ومدفن  
آبائهم واجدادهم . والمسيحيون يعتبرونها المدينة المقدسة لما فيها  
من عجائب الله وقيام النبيين وموت المسيح فيها وعندهم الكنائس  
الكبيرة الكثيرة فيها لكل الطوائف منها واحدة يعز نظيرها في الوجود  
اسمها كنيسة القيامة يزعمون ان قبر سيدنا المسيح فيها وهو الذي يتقاطر  
الحجاج كل سنة الوفا لمشاهدته والتبرك به . والقدس مركز  
متصرفية كبرى تقرب من الولاية في ضخامتها واهميتها ولهذا يعدها

البعض من الولايات الشاميّة وأكثر سكانها اليوم من الاسرائيليين  
وبينهم عدد يذكر من المسلمين والنصارى من كل طائفة ومذهب .  
واشتهر اهل القدس بصناعة الخشب المخروط والسج وتسيق الزهور  
اليابسة وغير هذا ممّا هو مشهور ومأثور

ومن هذه المدن الداخليّة نابلس وهي في لواء القدس الشريف  
اشتهرت بصنع الصابون النابلسي المعروف وفيها طائفة السمرة التي مرّ  
ذكرها . ومنها طبريا وصفد والناصره موطّن سيدنا المسيح وكلها في  
متصرفيّة القدس ولها شهرة في الآثار وجمال المناظر الطبيعيّة وذكر ما  
حدث في ايام الانبياء

واما مدن لبنان وقراه الشهيرة فكلها في داخل البلاد من  
اشهرها مدينة زحلة وهي على اطراف الجبل من ناحية الشرق مبنية  
بين جبالين كبيرين يمرّ في واديهما نهر صغير تستقي البلدة ومزارعها  
منه ولهذا المدينة مركز حصين ولاهاها بأس في الحروب واقدام كبير  
على الاعمال وهم لا يقلون عن ١٢ الف نفس عدداً وقد نزع منهم في  
السنوات الاخيرة عدد كبير الى ولايات اميركا المتحدّة وانشأوا فيها  
المخالات التجاريّة وقاموا بالاعمال الكبيرة حتى انهم بنوا مدينة في ولاية  
نيويورك سموها زحلة باسم بلدتهم الاصلية وأكثرهم من اصحاب البنية  
القويّة والصحة الجيدة وقد كان لهم في الحروب التي سنأتي على ذكرها  
اعمال تذكر وتشكر . ومنها دير القهر وهي من اشهر مدن  
لبنان كانت قبل حروب سنة ١٨٦٠ مدينة شهيرة لها صناعة تعرف  
بها في نسج الاقمشة ومتاجر واسعة ولكن المصائب التي دهمتها في تلك

السنة والاهوال التي حدثت فيها تركت أكثر من نصفها خراباً واضطرت أهلها إلى الرحيل ومنهم اناس اليوم في كل مدائن الشام وأكثر مدائن مصر وفي أوروبا وأميركا وهي الثانية في عدد السكان بين مدن لبنان وموقعها في أواسطه بلخف جبل تحيط بها القرى من كل جانب . ولاهنا شهرة في الذكاء والشجاعة وكأهم اليوم من النصراري وبينهم نفر قليل من المسلمين . وأما السروز فقد منحوا من السكن فيها بعد الذي حدث في سنة الملوك التي نحن في حدها . وقد أصاب هذه البلدة من نكبات سنة ١٨٦٠ أكثر مما أصاب كل بلدة سواها تقريباً وكان لاهلها دخل كبير في كل تلك الحروب . ومن الأماكن التي اشتهرت بالحرب بيت مري وهي قرية صغيرة تشرف على بيروت من شرفها ولها موقع جميل وفيها ماء عذب زلال وهواء طيب مثل أكثر قرى لبنان أو كلها . ومنها حاصبيا وهي مدينة وادي التيم وتابعة لولاية سورية . وراشيا وهي بين حاصبيا ودمشق

وهما البلدتان اللتان ذاقتا المرّ من مذابح

تلك السنة المشومة وغير هذه

سيأتي ذكرها في

حينه